سورة المؤمنون

سورة المؤمنون مكيّة وآياتها ثماني عشرة ومائة آية.

[١] يخبر جل وعلا أنه قد فاز وحقق النجاح والسعادة ونال رضوان الله والجنة كل مؤمن اتصف بهذه الصفات التي سنأتي على ذكرها، وقد عرف العلماء الإيمان فقالوا: هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح، ويجب أن تصدق الأفعال الإيمان؛ لأن الإيمان إذا لم تصدقه الأفعال يكون ادعاءً لا حجة تثبته ولا دليل يؤيده.

[٢] ثم ذكر سبحانه جملة من صفات وأعمال المفلحين الفائزين، وقد بدأها بأول صفة بعد الإيمان، وهي: أنهم الذين يخشعون في صلاتهم فلا ينشغلون أثناء أدائها بأي أمر من أمور الدنيا.

[٣] ثم ذكر سبحانه الصفة الثانية، وهي: أنهم الذين يعرضون عن اللغو وهو كل كلام أو فعل قبيح.

[٤] ثم ذكر سبحانه الصفة الثالثة، وهي: أنهم الذين يؤدون زكاة أموالهم المفروضة عليهم بطيب نفس لتطهير أنفسهم وأخلاقهم بأدائها.

[٥] ثم ذكر سبحانه الصفة الرابعة، وهي: أنهم الذين يحافظون على فروجهم من كل أنواع الفواحش، وعلى رأسها فاحشة الزنا أو اللواط.

[٦] ثم استثنى سبحانه الذين يستمتعون بزوجاتهم أو ما ملكت أيمانهم من الإماء فإنه لا إثم عليهم؛ لأن الله أباح لهم ذلك.

[٧] ثم بين سبحانه أن من طلب الاستمتاع بغير الزوجة، أو الأمة؛ فقد تجاوز حدود الله، وعرَّض نفسه لعقابه وسخطه.

[٨] ثم ذكر سبحانه الصفة الرابعة، وهي: أنهم الذين يحافظون على الأمانات والعهود مع الله جل في علاه، ومع الناس؛ فلا يخونون ولا يغدرون.

[٩] ثم ذكر سبحانه الصفة الخامسة، وهي: أنهم الذين يحافظون على أداء الصلاة في أوقاتها المحددة، ويحافظون على أركانها وواجباتها، كما وردت عن النبي ﷺ، ولاحظ كيف بدأ سبحانه بأهم صفة من صفات المؤمنين وهي الخشوع في الصلاة، وختمها أيضًا بالمحافظة عليها؛ لبيان عظم الصلاة ومكانتها عند الله تعالى.

[١٠] ولما ذكر جل وعلا هذه الصفات وهذه البراهين التي تدل على ثبات الإيمان، قال: إن أولئك المؤمنين المتصفين بهذه الصفات الجليلة أحق بوراثة الجنة.

[١١] ثم بين سبحانه أنهم أحق بوراثة أعلاها وهو الفردوس؛ فإذا دخلوا الجنة فإنهم سيخلدون فيها أبد الآبدين.

[١٢] ثم ذكر جل وعلا الأطوار التي تدرَّج بها خَلْقُ الإنسان؛ فبين سبحانه وتعالى أنه بقدرته خلق الإنسان من طين مأخوذ من وجه الأرض، وهذه خاصّة بأبي البشر آدم عليه السلام.

[١٣] ثم ذكر مراحل خلق ذريته؛ فبين أنه خلقهم من نطفة، والنطفة هي جزء من مني الرجل الذي يخرج من صلبه أثناء الجماع ويستقر في رحم المرأة.

[١٤] ثم جعل سبحانه النطفة علقة، أي: قطعة دم تعلق بجدار الرحم من داخله، ثم جعل العلقة بعد أربعين يومًا مضغة، أي: قطعة لحم بقدر ما يمضغ بالفم، ثم حول سبحانه هذه المضغة من اللحم إلى عظام، ثم كسا هذه العظام باللحم، ثم أنشأه بشرًا سويًّا وذلك بنفخ الروح فيه؛ فتبارك سبحانه وكثر خيره الذي أحسن كل شيء خلقه، وأحكم كل شيء صنعه.

[١٥] ثم ذكر جل وعلا أن هذا الإحياء يتبعه موت بعد انقضاء الأعمار.

[١٦] ثم بين سبحانه أن بعد الموت إحياء للحياة الآخرة السرمدية، فتبعثون من قبوركم وتعرضون للحساب، وبعده إما إلى جنة أو إلى نار، نسأل الله تعالى أن يرزقنا الجنة ويعيذنا من النار.

في هذه الآيات تذكير ببداية خلق الإنسان ونهايته؛ ليتعظ من يتعظ ويعتبر من يعتبر، وتقوم الحجة على الجميع، وهي دليل على قدرة الله العظيمة وعلى وحدانيته جل وعلا.

[١٧] ذكر جل وعلا أنه خلق سبع سماوات بعضها فوق بعض، وبين أنه مراقب للمخلوقات، وأنه عارف لكل ما يصدر منهم من تصرفات، وأنه جل في علاه لم يكن مهملًا أو ناسيًا لأيٍّ من مخلوقاته.

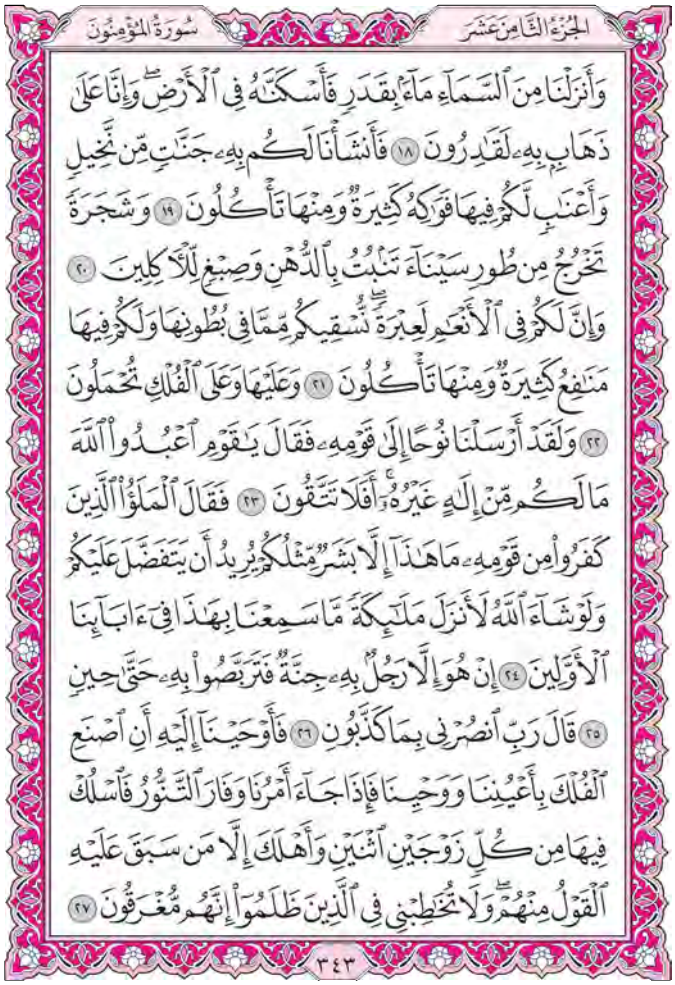

[١٨] ذكر جل وعلا فضله علىٰ خلقه بإنزال الماء الذي لا تقوم الحياة إلّا به، وقد أنزله سبحانه بقدر حاجتهم، ثم بين أنه جعل الآبار والعيون والأنهار في الأرض مستقرًا لهذا الماء لينتفع الناس به، كما بين أنه قادر علىٰ رفع هذا الماء المستقر وعدم الانتفاع به، وهذا يعني أن الماء نعمة كبرىٰ تستحق شكر الله؛ فإنه بالشكر تدوم النعم.

[١٩] ثم أخبر جل في علاه أنه سقىٰ الأرض بهذا الماء فأحياها وأنشأ منها بساتين النخيل والأعناب التي تنتج أنواع الفواكه الكثيرة التي تستمتعون بالأكل منها في كل الأوقات.

[٢٠] ثم أخبر سبحانه أنه أنشأ بهذا الماء شجرة الزيتون المباركة، والتي هي من أكثر الأشجار فائدة بزيتها وطعامها وخشبها، وهذه الشجرة تخرج حول جبل الطور بسيناء، وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسىٰ عليه السلام، ثم بين سبحانه أن هذه الشجرة يخرج من ثمرها زيت يدهن وينتفع به، ويستخدم في الأكل مع الخبز وغيره من أنواع الطعام.

[٢١] ثم ذكر جل وعلا الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم، وطلب من عباده الاعتبار والاعتراف بفضل الله عليهم فيها؛ فهو الذي سخرها، وجعل فيهما الكثير من المنافع، ومن ذلك ما أودعه الله في بطونها من اللبن الذي يُنتفع به ويتلذّذ الناس بشربه، وغير ذلك من المنافع الكثيرة؛ كالانتفاع من أصوافها وجلودها والتلذذ بأكل لحومها غذاءً وغير ذلك.

[٢٢] ثم أخبر سبحانه أن بعض هذه الأنعام تحملكم وتحمل أمتعتكم وتتنقلون عليها من مكان إلىٰ آخر، ومن نعمه علىٰ عباده أيضًا أن سخر لهم هذه السفن التي تجري في البحر لتحملهم وتحمل أثقالهم ويتنقلون عليها من بلد إلىٰ بلد، وإلا فلا يمكن أن يصل البشر إلىٰ مصالحهم التجارية وغير التجارية إلّا عن طريق هذه الوسائل وغيرها من الوسائل الحديثة التي يسر الله صناعتها.

[٢٣] يخبر جل وعلا أنه أرسل نبيه نوحًا عليه السلام إلىٰ قومه لدعوتهم إلىٰ التوحيد، فقال لهم: ياقوم اعبدوا الله وحده لا شريك له، واعلموا أنه ليس لكم إله حق سواه، فأخلصوا العبادة له ألا تخشون عقاب الله وعذابه.وقد بذل نوح عليه السلام جهده دهرًا طويلًا في دعوة قومه إلىٰ التوحيد ونبذ الأصنام التي صوروها بصور الصالحين؛ ثم أصبحوا يعبدونها.

[٢٤] ولكن أشراف وسادات قوم نوح كذبوا نوحًا، وأخذوا يحذرون الناس قائلين لأتباعهم اعلموا أن نوحًا مثلكم ومن جنسكم وليس فيه ميزة تميزه عنكم، ثم اتهموه أنه لا يريد من دعوته هذه إلا أن تكون له الرئاسة والفضل عليكم، ثم قالوا: ولو شاء الله أن يرسل إلينا رسولًا لعبادته وحده لأرسله من الملائكة، ولم نسمع بهذا الكلام الذي جاء به نوح في آبائنا وأجدادنا الأولين.

[٢٥] ثم أخبر سبحانه أن قومه اتهموه عليه السلام بأنه رجل أصابه مس من الجنون، فانتظِروا حتىٰ يشفىٰ ويفيق من هذا الجنون فيترك دعوته، أو انتظروا حتىٰ يأتي أجله ويموت وعندئذٍ تستريحون منه ومن دعوته.

[٢٦] فقال نوح عليه السلام مناجيًا ربه وطالبًا النصرة منه: يارب انصرني علىٰ قومي الكافرين، وأهلكهم، واخْزِهم؛ بسبب تكذيبهم لما جئتهم به وإنكار رسالتك وإصرارهم علىٰ الكفر والجحود والعناد والتكذيب.

[٢٧] فاستجاب الله دعاء نبيه نوح عليه السلام فأوحىٰ إليه أن يبدأ بصنع السفينة تحت رعايته وحفظه وبمساعدة وإرشاد الوحي؛ ثم أخبره فقال: فإذا جاء أمر الله بإهلاك قومك الظالمين بالغرق وبدأ الطوفان ورأيت الماء ينبع بقوة من التنور الذي يُخبز فيه كعلامة علىٰ مجيء العذاب؛ فَأَدْخِلْ في السفينة من كل نوع من الأحياء زوجين ذكرًا وأنثىٰ ليبقىٰ النسل وتستمر الحياة، وأدخل في السفينة أيضًا أهلك الذين آمنوا معك، أما من كفر كزوجتك وابنك فلا تدخلهم السفينة لأنهم ممن استحق عليهم العذاب بسبب كفرهم، ولا تسأل يانوح ربك الشفاعة في قومك الذين ظلموا أن يرفع أو يخفف عنهم العذاب فقد مضىٰ أمر الله بإغراقهم ولا مبدل لحكمه جل وعلا. وهذه الآية فيها إثبات صفة العين المبصرة لله بما يليق بجلاله؛ بلا تشبيه ولا تكييف.

[٢٨] ثم أرشد سبحانه وتعالىٰ نبيه نوحًا عليه السلام إذا ركب السفينة واستقر عليها هو ومن معه ممن أذن الله لهم بالركوب معه؛ أن يقول: الحمد لله الذي نجّانا من القوم الظالمين الجاحدين، الذين عبدوا غير الله، واستحبوا الكفر والضلال علىٰ الهدىٰ والرشاد.

[٢٩] وقل يانوح داعيًا ربك خاشعًا متضرعًا: اللهم يسّر لنا في هذا المركب منزلًا آمنًا ومباركًا، ونزولًا لا مشقة فيه، إنك سبحانك خير المنزلين.

[٣٠] ثم أخبر سبحانه وتعالىٰ أن في قصة نوح آياتٍ وعلامات وعبرًا واضحاتٍ علىٰ وحدانية الله، وَصِدْقِ رسله، ومعيته للمؤمنين، ونكاله للكافرين، ثم أخبر عز وجل أن من سنته ابتلاء العباد واختبارهم بإرسال الرسل إليهم؛ ليعلم المؤمن الطائع من الكافر العاصي علم ظهور ولئلا يكون للناس علىٰ الله حجة.

[٣١] وبعد أن أهلك جل علا قوم نوح الذين كذبوا وعاندوا أنشأ بعدهم قومًا آخرين، وهم قوم عاد ونبيهم هو هود عليه السلام، كما ذكر تعالىٰ قول هود عليه السلام لقومه: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف:٦٩].

[٣٢] ثم أخبر جل وعلا أنه أرسل فيهم رسولًا منهم، نشأ بينهم، ويعرفونه معرفةً تامّةً، فقال لهم: اعبدوا الله ووحدوه، ولا تشركوا به أحدًا، أفلا تجعلوا أيها الناس بينكم وبين عذاب الله وقايةً بتوحيده، واجتناب الشرك!

[٣٣] فقال الأشراف من قومه الذين جحدوا وكفروا بالله، وباليوم الآخر، وأطغاهم الترف والجاه؛ قالوا علىٰ سبيل التكذيب والمعاندة: اعلموا أن هذا ليس بنبي، فانظروا إليه يأكل مما تأكلون منه، ويشرب مما تشرون منه، فليس له مزيّة عليكم.

[٣٤] ثم قالوا لقومهم صادِّين لهم عن الحق: لئن أطعتم بشرًا مثلكم فيما جاءكم به فسوف تخسرون وتندمون علىٰ ذلك.

[٣٥] ثم قالوا لهم: هل تطيعون وتتبعون من يزعم أنكم إذا متّم وصرتم عظامًا وترابًا؛ أنكم ستُخرجون بعد ذلك، وتدبُّ فيكم الحياة مرة أخرىٰ!!

[٣٦] وقالوا لهم أيضًا: اعلموا أيها القوم أن ما يعدكم به هذا الرجل من أنكم ستخرجون من قبوركم أحياءً فإنه بعيد جدًّا ومستحيل وقوعه. وقوله: ﴿هَيْهَاتَ﴾، اسم فعل ماضي بمعنىٰ: بعيدًا بعيدًا، أي: أن قوله هذا بعيد ومستحيل وقوعه.

[٣٧] ثم قالوا لقومهم منكرين للبعث: ما نرىٰ في حياتنا إلّا أناسًا يموتون، وأناسًا يعيشون ثم يموتون، وهكذا، وما نحن بمخرجين من قبورنا للحياة مرة أخرىٰ.

[٣٨] ثم قالوا لقومهم: واعلموا أن ما يزعمه هذا الرجل من أنه نبي فقد افترىٰ علىٰ الله كذبًا، وما نحن له بمصدقين فيما يقول من التوحيد، والبعث، والجزاء والحساب.

[٣٩] فقال نبيهم هود مناجيًا ربه وطالبًا النصرة منه: يارب انصرني علىٰ قومي الكافرين، وأهلكهم، واخْزِهم؛ بسبب تكذيبهم إيّاي، وإصرارهم علىٰ الكفر والعناد والتكذيب، وصدّهم الناس عن توحيدك والإيمان بك.

[٤٠] فأجاب الله دعوة نوح عليه السلام، وأخبره بأنهم عن قريب سيهلكون، ويندمون علىٰ تكذيبك، وعدم الإيمان بك.

[٤١] ثم وقع أمر الله، وجاءهم العذاب، فأرسل الله عليهم الصيحة والريح؛ فأفْنَتْهُم عن بكرة أبيهم، وأبادتهم، فصاروا كغثاء السيل المُهْمَل الطافي علىٰ سطحه، فبُعْدًا وطَرْدًا من رحمة الله، وهلاكًا مُحَقَّقًا لَهؤلاء الظالمين المشركين المجاوزين حدَّهم، ومن سلك سبيلهم واتَّبع طريقتهم في تكذيب الأنبياء، والصدّ عن دين الله.

[٤٢] وبعد أن أهلك جل علا هؤلاء المكذبين المعاندين أنشأ بعدهم أقوامًا آخرين.

[٤٣] ثم أخبر جل وعلا أنه جعل لكل أمة من تلك الأمم وقتًا محدَّدًا، وأجلًا مسمًّىٰ، لا يتقدمون عليه، ولا يتأخرون عنه.

[٤٤] ثم أرسل جل وعلا رسله بعضهم يتلو بعضًا، يدعون أممهم وأقوامهم إلىٰ التوحيد، ونبذ الشرك، فما كان من تلك الأمم إلّا التتابع في التكذيب، فكان جزاؤهم أن أتْبع الله بعضهم بعضًا بالهلاك والدمار، وجعلهم عبرة للمعتبرين، وقصصًا يتعظ منها من جاء بعدهم، فبُعدًا وهلاكًا لقومٍ لم يصدِّقوا رُسُلهم، ولم يؤمنوا بما جاؤوا به من عند الله.

[٤٥-٤٦] ثم أخبر جل وعلا بأنه أرسل موسىٰ وهارون عليهما السلام بآياته البينات الواضحات الدالة علىٰ وحدانية الله تعالىٰ، والتي من قوتها تُثبت الحجة علىٰ المعاندين. وأخبر أنه أرسلها إلىٰ فرعون ورؤساء قومه؛ فاستكبروا عليهما، واستكبروا علىٰ التوحيد والآيات، إنهم كانوا قاهرين متطاولين علىٰ الناس بغْيًا وظُلْمًا.

[٤٧-٤٨] ثم قال فرعون وقومه علىٰ وجه الاستعلاء والبطر: كيف نؤمن لبشرين مثلنا - لا مزية لهما علينا -؛ بل قومهما - بنو إسرائيل - خاضعون مطيعون لنا، وتحت حُكْمنا وإمْرَتِنَا. وهكذا فرعون وقومه كذبوا موسىٰ وهارون ولم يؤمنوا بما جاءا به من التوحيد والإيمان، فكانت عاقبتهم أن أهلكهم الله بالغرق.

[٤٩] وبعد أن أهلك الله فرعون وقومه الظالمين؛ أنزل الله التوراةَ علىٰ موسىٰ، هدايةً لِمَن اتبعه من بني إسرائيل، ففيها الهدىٰ والنور؛ لعلهم إذا أخذوا بما فيها يهتدون ويَرْشُدون.

[٥٠] ثم أخبر سبحانه أنه امتنَّ علىٰ عيسىٰ بن مريم وأمه عليهما السلام، وجعلهما آية وعلامة واضحة علىٰ وحدانيته، وقدرته في الخلق؛ حيث خلق عيسىٰ من غير أب، وتكلم في المهد، وغير ذلك، وجعل الله لهما مكانًا مرتفعًا يأويان إليه، ويستقران وقت الحمل والولادة فيه، وفيه ماء جارٍ عذب سائغ للشاربين.

[٥١] ختم جل وعلا الحديث عن الأنبياء الذين سبق ذكرهم؛ حيث أمر كل نبي عند إرساله بالأكل من الحلال والقيام بالأعمال الصالحة، ثم بين سبحانه لهم بأنه لا يخفىٰ عليه شيء من أعمالهم فيجازيهم بما يستحقون. وفي هذه الآية دليل علىٰ أن الأكل الحلال يعين العبد علىٰ العمل الصالح، وأنه سبب لاستجابة الدعاء.

[٥٢] واعلموا أيها الناس أن دين الله وشرعته للرسل جميعًا واحد، وهي شريعة الإسلام، وهو توحيد الله بالعبادة، والإيمان: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، أما في الفروع فلكل مجتمع تشريعاتٌ تناسبه، ثم قال جل في علاه: واعلموا أني ربكم فيجب عليكم امتثال ما آمركم به واجتناب ما أنهاكم عنه.

[٥٣] ثم أخبر جل وعلا عن الأتباع بأنهم تفرقوا في أمر دينهم فصاروا فرقًا وأحزابًا وشيعًا، كل فرقة فرحة ومعجبة بما آلت إليه؛ وترىٰ أن الحق معها وأنها هي الفرقة الناجية.

وفي هذه الآية دليل علىٰ التحذير من التحزب والتفرق في الدين.

[٥٤] ثم أمر جل وعلا نبيه ﷺ أن يترك هؤلاء المجرمين في ضلالتهم وجهلهم ولا يقلقه أمرهم ولا ينشغل بهم حتىٰ يأتي أمر الله للفصل فيما تقتضيه حكمته. وهذا تهديد ووعيد لهم بعذاب الدنيا والآخرة.

وقد نهىٰ ﷺ عن الحسرة علىٰ الكفار أو حتىٰ الدعاء عليهم، قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر:٨]، وشبَّه تجادلهم وتناقضهم وجهلهم بالذين يخوضون في الماء؛ فالذي يخوض الماء فإن الماء يغطيه ولا يدري علىٰ ماذا تقع رجله، وهكذا الجاهل يغطيه جهله فلا يميز بن الحق والباطل.

[٥٥-٥٦] ثم أنكر جل وعلا عليهم حسبان النعم من الأموال والأولاد التي أنعم بها عليهم بأنها دلالة علىٰ أنه راض عنهم؛ بل ليعلموا أنه سبحانه عجل لهم هذه النعم استدراجًا واختبارًا لهم، ولكنهم لا يحسُّون بذلك.

[٥٧-٥٨-٥٩] يخبر جل وعلا أن المؤمنين الصادقين أصحاب القلوب الوجلة خائفون وحذرون من عقاب الله وعذابه. وأنهم بآيات الله التي تُتلىٰ عليهم مؤمنون بها وبما فيها من حجج وبراهين تدلُّ علىٰ وحدانيته؛ يوقنون ويصدّقون بها تصديقًا جازمًا. وأنهم يُخلِصون عبادتهم لله وحده، فلا يُشركون معه أحدًا في عبادته، لا ملكًا مُقرَّبًا ولا نبيًّا مرسَلًا.

وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾
أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ
هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ
يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ
ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾
مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ
جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ
فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ
وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ
عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ
وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

[٦٠] ثم بين سبحانه أن من صفات هؤلاء المؤمنين الصادقين أنهم يؤدون ما أُمِروا به من عبادات، ويتقربون إلىٰ الله بما استطاعوا من قُربات، ومع ذلك قلوبهم مضطربة خائفة من رجوعهم إلىٰ الله ووقوفهم بين يديه للجزاء والحساب ألّا يُقبل منهم بسبب تقصيرهم.

[٦١] ثم أخبر جل وعلا أن أولئك الذين هذه صفاتهم السابقة: يتسابقون ويجتهدون ويتنافسون في عمل الخيرات، وما يقربهم إلىٰ الله، وهم قد بلغوا الذروة، ووصلوا الغاية، فأخبر الله عنهم أنهم سابقون فائزون.

[٦٢] وبعد أن ذكر جل وعلا صفات المؤمنين الصادقين أخبر بأنه لا يكلف نفسًا إلا بحسب طاقتها وقدرتها، ثم أخبر بأن لديه كتابًا أُحْصِيَتْ فيه أعمال وأقوال العباد صغيرها وكبيرها، وأن كل ما سُطِّر فيه حق وصدق، وأنه لن يظلم جل في علاه أحدًا من خلقه؛ وسيأخذ كل واحد ما يستحقه؛ بل إنه يعفو جل شأنه عن كثير من الهفوات والزلات.

[٦٣] يخبر سبحانه أن قلوب الكفار الغافلين عن آيات الله، وعن أعمال المؤمنين وتنافسهم في التقرب إلىٰ الله؛ في غفلة وبُعْدٍ، قد غشيت قلوبهم وغَطَّتْها ظلماتُ الشرك والجهل والغَيِّ؛ فاستحقوا بذلك غضب الله وعقابه، ولهم أعمالٌ أخرىٰ رديئةٌ غير هذه الأعمال لم يعملوها بعد، يُقيهمُ الله ليعملوها؛ فتتم بذلك خيبتهم، ويحق عليهم عذاب الله وعقابه.

[٦٤] ثم بين جل وعلا حال الكفار عندما ينزل بهم العذاب، فقال سبحانه: حتىٰ إذا أخذ المترفين والمنعَّمين منهم بالعذاب الشديد؛ فإذا هم يصرخون ويُوْلْوِلُون مستغيثين من شدة ما أصابهم من ألم ووجع.

[٦٥] فيُقال لهم - إهانةً وتبْكيتًا -: لا تصرخوا مستغيثين اليوم، فهذا الصراخ لن ينفعكم، وليس لكم ناصرٌ ينصركم من دون الله، وليس لكم من يمنع عنكم عذاب الله وعقابه.

[٦٦] ثم ذكر جل وعلا هؤلاء الكفار أنه كانت تتلىٰ عليهم آيات القرآن وما فيها من حجج وبراهين علىٰ وحدانية الله، فكانوا يرجعون إلىٰ الوراء مستأخرين عن سماع آيات القرآن سماع تدبر واستجابة.

[٦٧] وبين سبحانه أنهم كانوا يستكبرون علىٰ الناس كونهم من أهل الحرم، وكانوا يذكرون ذلك بينهم في أسمارهم حين اجتماعهم، ويتحدّثون بالقول السيِّيء، ومن ذلك هذيانهم وطعنهم في القرآن.

[٦٨] ثم بكت جل وعلا أهل مكة ولامهم فقال لهم: لماذا لم تكلفوا أنفسكم قراءة هذا القرآن والتمعن فيه فتعرفوا صدقه؟، أم منعكم من الإيمان به أن رسولكم محمدًا ﷺ جاءكم بشيء لم يأت الرسل السابقون بمثله لآبائكم؟.

[٦٩] ثم قال سبحانه: أم منعكم من الإيمان به أن رسولكم غير معروف عندكم؟؛ بل إنكم تعرفون حسبه ونسبه وصدقه وأمانته واستقامته ولكنكم تنكرون وتجحدون.

[٧٠] ثم قال جل شأنه: أم أن سبب إصراركم علىٰ الكفر والعناد أيها الكفار هو اتهامكم للرسول بالجنون؟ بل إنه ﷺ جاءكم بالحق والصدق، وجاءكم بالقرآن والتوحيد والدين الحق، ولكن أكثر الناس يكرهون الحق لأنه يمنعهم من شهواتهم وأهوائهم.

[٧١] ثم قال جل وعلا مُبَكِّتًا ومسفهًا الكفرة المعاندين للدعوة: ولو أجاب الله هؤلاء الكفار وجعل شرعه يوافق أهواءهم وشهواتهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن؛ بل جاءهم سبحانه بهذا القرآن الذي فيه شرفهم وعزهم، ولكنهم أعرضوا عنه جهلًا وغباءً؛ بل غطرسة وكبرياءً، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾، أي: شرف وعز لكم وسوف تُسألون عن تبليغه والقيام به.

[٧٢] ثم سأل سبحانه نبيه ﷺ فقال له: هل سألتهم يانبي الله وطلبت منهم أجْرًا ومالًا مقابل دعوتك إياهم؟! فبخلوا ولم يستجيبوا لك لأجل ذلك؟! وحاشاك أن تفعل ذلك، فأنت تعلم أن عطاء ربك وثوابه خيرٌ لك في الدنيا والآخرة، والله خير الرازقين.

[٧٣] ثم أخبر سبحانه أن النبي ﷺ دعا هؤلاء الكفار إلىٰ طريقٍ سويٍّ واضح لا اعوجاج فيه، وهو توحيد الله جل في علاه، ولكن بسبب شقائهم وغبائهم تركوا الإسلام وتمسكوا بعبادة الأصنام.

[٧٤] ثم أخبر جل وعلا أن الذين لا يصدّقون بالآخرة وما فيها؛ قد ضلوا ضلالًا مبينًا، وانحرفوا ومالوا عن الطريق الحق الموصل إلىٰ الله.

* وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ
وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ
إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ
ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ
ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ
إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن
فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ
بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

[٧٥] ثم أخبر جل وعلا أنه لو رحم هؤلاء المشركين ورفع عنهم السوء الذي نزل بهم من القحط والفقر لتمادوا في كفرهم وضلالهم، وتجاوزوا في طغيانهم وتحيرهم وترددهم.

وكلامه جل وعلا هذا ينطبق علىٰ المكابرين المعاندين الكارهين للحق الذين قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢]، ومثل هؤلاء يتحسرون ويندمون حين لا ينفع الندم ولا تقبل التوبة.

[٧٦] وأخبر سبحانه أنه امتحن هؤلاء المشركين وأذاقهم بعض الشدَّة بأن جوعهم، وأصابهم بالقحط؛ ليرجعوا ويستسلموا ويخضعوا لله، ويؤمنوا به، ويصدّقوا رسوله ﷺ، فما نفع ذلك معهم، وما خضعوا ولا استكانوا ولا تضرَّعوا ولم يلجؤوا إلىٰ الله لرفع ما بهم.

[٧٧] فلمّا كانت هذه حالهم؛ فتحنا عليهم بابًا شديدًا من العذاب فلم يتحمّلوه ولم يطيقوه؛ بل أيِسوا من كلِّ خيرٍ ونجاةٍ، وتحيروا فلم يعرفوا ماذا يفعلون.

[٧٨] واعلموا أيها الناس أن الله وحده هو الذي أنعم عليكم بأن خلق لكم السمع لتنتفعوا به، والبصر لتبصروا به، والأفئدة لتفقهوا وتُدركوا بها، أفلا تشكرونه علىٰ هذه النعم فتُؤمنون به، وتتبعون رسوله؟!!

[٧٩] وأخبر سبحانه أنه هو الذي خلقكم، وبثَّكم ونَشَرَكُم في الأرض، ويسّر لكم المعيشة عليها، ثم إليه تُحشرون وتُجمَعُون بعد موتكم، فيُجازي كلًّا بعمله.

[٨٠] ثم أخبر جل شأنه أنه وحده الذي يتصرف في الإحياء والإماتة، وهو وحده سبحانه الذي يتحكم في تعاقب الليل والنهار، وتناوبهما، وفْقَ نظام دقيقٍ يدل علىٰ وحدانيته وعظمته وقدرته، أفلا يكون هذا مدعاةً لكم للتفكر في وحدانيته وعظمته، وقدرته علىٰ إيجادكم وبعثكم مرة أخرىٰ بعد موتكم؟!

[٨١] ثم أخبر سبحانه أن هؤلاء المشركين لم تنفعهم هذه الموعظة، ولم ينفعهم هذا التذكير؛ بل ردَدَ هؤلاء المكذبون بالبعث مقولة أسلافهم: أن هذه كوارث طبيعية.

[٨٢] ثم أخبر جل في علاه أن هؤلاء المكذبين بالبعث قالوا علىٰ سبيل الإنكار: أإذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا - لا روح فيها ولا حياة -: أإنا لمبعوثون ومُخْرَجُون وقائمون من قبورنا مرةً أُخرىٰ؟!

[٨٣] ثم قال هؤلاء المكذبون: لقد قيل لنا هذا الأمر من قبل، وقيل لآبائنا، فما رأيناه تحقق، وما هذا البعث إلّا من حكايات الأولين الباطلة التي ما تُحكىٰ إلّا للتسلية والتلهّي.

[٨٤-٨٥] فقل لهم يانبي الله: لِمَن مُلْك هذه الأرض وما فيها من المخلوقات؟! من الذي خلقها، ودبّر أمورها؟! إن كنتم تعلمون؟! فلا بد أن يجيبوا أنها لله، فقل لهم حينها: أفلا يذكركم هذا بقدرته علىٰ بعثكم بعد موتكم فتؤمنون به، وتفردونه بالتوحيد والعبادة؟

[٨٦-٨٧] ثم قل لهم يانبي الله: من خالق ومالك السماوات السبع وما فيها من الكواكب والنجوم والقمر والملائكة؟ وقل لهم: من خالق ومالك العرش العظيم؟! فسيجيبون حتمًا: بأن الله رب ذلك كلّه، فقل لهم: أفلا تجعلون بينكم وبين الله عناية ووقاية بتوحيده والإيمان به، وترك الشرك به، وترك إنكار البعث وتكذيب الرسل!!

[٨٨-٨٩] وقل لهم يانبي الله: مَنْ الذي له مُلْك كل شيء؟! ومن الذي يغيث ويحمي، ويُنقِذ من يستغيث به - ولا يستطيع أحد أن يحمي من أراد الله إهلاكه -، مَنْ الذي له وحده كل ذلك؟ إن كنتم تعلمون؟! فسيجيبون مقرّين: كل ذلك لله وحده، فقل لهم حينها: فكيف ذهلت عقولكم، فتركتم الإيمان والهدىٰ، واتخذتم شركاء من دون الله فصرفتم لهم العبادة؟ ولم تصدّقوا ما أخبركم الله به من أمر البعث والنشور؟!! فصرتم كالمسحورين.

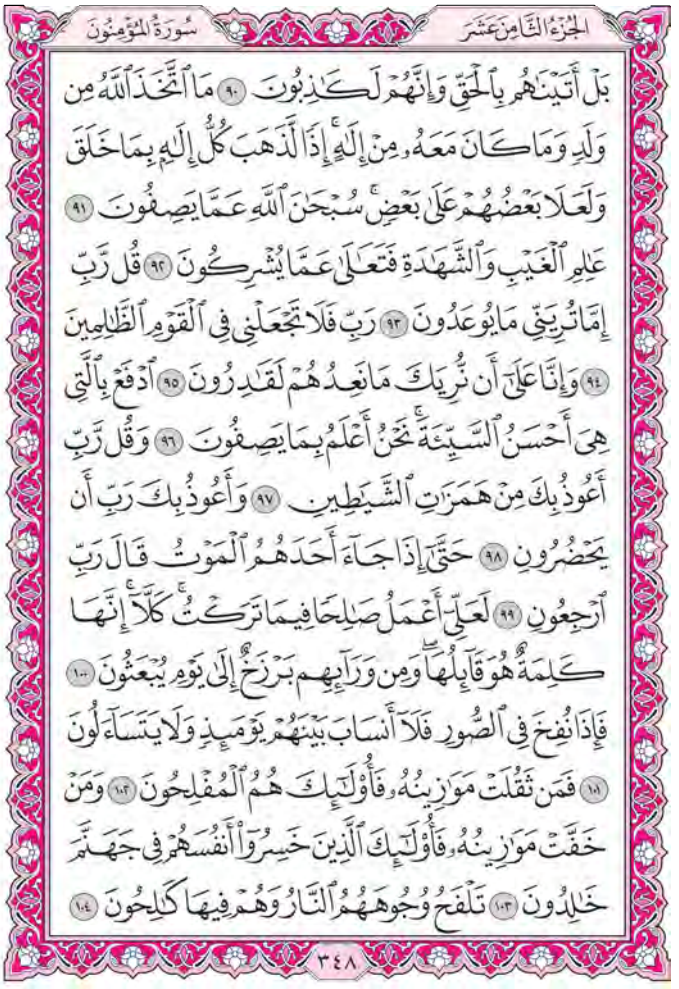

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن
وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ
وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾
عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ
إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى
هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ
أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن
يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا
كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾
فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ
﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

[٩٠] يقول جل في علاه: بل جئنا هؤلاء المكذبين بالحق الذي لا مرية فيه ولا شكّ، فلم يتَّبعوه، ولم يؤمنوا به؛ بل قابلوه بالكذب والإعراض.

[٩١] ينفي الله جل في علاه ما وصفه به المشركون زورًا وبهتانًا، فهو سبحانه لم يتخذ لنفسه ولدًا، ولم يكن معه إله آخر يشاركه في ألوهيته وربوبيته، ولو كان الأمر كما يزعم هؤلاء المُبطلون بوجود أكثر من إله؛ لحصل بينهم الخلاف والافتراق والاحتراب، ولانفرد كلُّ إله بما خلق وأنشأ، ولاستكبر بعضهم على بعض، ولغَلَبَ القويُّ الضعيفَ، فعجبًا من باطلهم، وتنزيهًا لله عمّا يصف هؤلاء المبطلون، وعن زعمهم وما يفترون.

[٩٢] والله وحده يعلم ما غاب علمه عن المخلوقات، ويعلم ما نشاهده ونراه، فتعالىٰ سبحانه وتقدس وارتفع عمّا يزعم هؤلاء المشركون.

[٩٣-٩٤] وقل يانبي الله: يارب إن أريتني ما وعدتهم به من الهلاك والعذاب؛ فلا تجعلني هالكًا معهم، واعصمني ونجني برحمتك من مآل ومصير هؤلاء الظالمين.

[٩٥] واعلم يانبي الله أنا قادرون علىٰ أن نريك ما وعدناهم به من العذاب والهلاك، وأن ذلك لا يعجزنا.

[٩٦] ادفع يانبي الله الإساءة بالإحسان، فهذا من مكارم الأخلاق، ونحن علىٰ علم تامٍّ بهم وبتكذيبهم، وبوصفهم إيّاك بما لا يليق، وعلىٰ علم بتكذيبهم وشركهم، ومرجعهم إلينا، وحسابهم علينا.

[٩٧-٩٨] وقل يارسول الله: يارب إني أحتمي وألتجئُ وأستجير بك من وسوسة الشياطين، ومن همزهم ووسوستهم، وأحتمي وألتجئ وأستجير بك من حضورهم لأموري، وتلبيسهم عليَّ فيها، والدفع بالتي هي أحسن أمر عام يدخل في كل شيء إلا في ساحة الحرب.

[٩٩] يخبر جل وعلا عن حال الكفار أو العصاة المفرِّطين الظالمين: حتىٰ إذا حانت وفاة أحدهم وجاءه ملك الموت، وعاين شدّته؛ قال نادمًا: يارب أرجعني إلىٰ الدنيا، وأعطني فرصة أخرىٰ.

[١٠٠] ثم بين سبحانه أن طلب هذا الكافر الرجوع إلىٰ الدنيا لعله يعمل بالتوحيد ويقوم بالواجبات ويستدرك ما قصر في حياته؛ فهم يتمنون الرجعة للدنيا ليقوموا بالواجبات الشرعية، ثم قال جل في علاه ردًّا علىٰ هذا الطلب: كلا، فإن طلبكم أيها الكفار الرجوع إلىٰ الدنيا مرفوض، ولن نستجيب لكم، لأنه جاء بعد فوات الأوان، كما أنكم غير صادقين في قولكم هذا، لأنكم لو رجعتم إلىٰ الدنيا لعدتم إلىٰ ما نهيتم عنه من الشهوات والمعاصي، واعلموا أن أمامكم حاجزًا يحجز بينكم وبين الرجوع إلىٰ الدنيا، وهذا الحاجز سيبقىٰ مستمرًّا إلىٰ يوم البعث والنشور؛ فيجازىٰ كلٌّ بعمله؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

وهذه الآية تفيد أن التوبة لا تُقبل أبدًا حال الغرغرة وحال قبض الروح؛ لأن وقتها انتهىٰ بانتهاء عمل الإنسان في الدنيا، وأن ساعة الاحتضار جعلت صحف أعماله تطوىٰ، ولم يمتثل أوامر الله ونواهيه وقت صحته.

[١٠١] واعلموا أيها الناس: حين يُنفَخ في الصور نفخة البعث؛ فحينها يذهل الناس، وينسون أنسابهم، فلا يفخر أحد علىٰ أحد، وكلُّ امرئ يكون منشغلًا بنفسه؛ فلا يسأل أحدٌ غيره عن شيء.

[١٠٢] ثم أخبر سبحانه أن من ثقلت كفّة حسناته في الميزان علىٰ كفّة سيئاته ورجحت بها؛ فأولئك هم الفائزون بالجنّة، المفلحون فلاحًا عظيمًا، لا خسارة بعده أبدًا.

[١٠٣] ثم أخبر عز وجل أن مَنْ ثقلت كفّة سيئاته في الميزان علىٰ كفة حسناته، فأولئك الذين ضيعوا أنفسهم، وخسروا خسارة عظيمةً لا خسارة بعدها، وإن كان من المشركين كان من أصحاب النار الماكثين فيها أبدًا.

[١٠٤] ثم بين سبحانه وتعالىٰ أن هذه النار التي سيدخلها المشركون سوف تحرق وجوههم فتغير ملامحها، وكذلك ستكون وجوههم عابسة، وشفاههم متقلصة من شدة ما هم فيه من العذاب.

[١٠٥] ثم يقال لهم علىٰ سبيل التقريع والتبكيت: ألم تكن آياتي الدالة علىٰ وحدانيتي تتلىٰ عليكم لتؤمنوا بها، وتستجيبوا لها، فكنتم تُعرضون عنها وتكذبون بها ظلمًا وعنادًا واستكبارًا؟!

[١٠٦] فيُجيبون بإقرارٍ وذلٍّ قائلين: غلبت علينا لذَّاتنا وشهواتنا، فضللنا الطريق، وضلَّتْ أعمالنا.

[١٠٧] ثم يقولون علىٰ سبيل طلب الخلاص والنجاة: ربنا أخرجنا من هذه النار وأعدنا إلىٰ الدنيا لنؤمن ونعمل الصالحات، فإن عدنا إلىٰ ما كنّا عليه من الشرك والضلال فإنا بذلك ظالمون مستحقون العذاب في النار.

[١٠٨] فقال الله لهم قولًا أصابهم بالهوان والذل والخسار واليأس؛ حيث قال لهم: اخسؤوا في هذه النار، وامكثوا فيها صاغرين أذلاء، ولا تكلموني، ولا تخاطبوني، وهذا أشدّ عليهم من عذاب النار ذاتها. نسأل الله السلامة والعافية.

[١٠٩] ثم بين سبحانه أن أحد أسباب دخول هؤلاء المجرمين النار، استهزاؤهم وسخريتهم بعباد الله المؤمنين؛ لأنهم آمنوا بالله واتبعوا رسوله ﷺ، وكانوا يدعون الله في تضرّع ومسكنة قائلين: ربنا آمنا بك وصدّقنا رسولك، فنتوسل إليك أن تغفر لنا ذنوبنا، وتستر لنا عيوبنا، وترحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء.

[١١٠] ثم بين جل شأنه أن هؤلاء المجرمين تمادوا في السخرية والاستهزاء بعباد الله المؤمنين ومن دعائهم حتىٰ كان هذا الاستهزاء والاحتقار هو شغلهم الشاغل، فنسوا بذلك ذكر الله والإيمان به وتوحيده؛ بل إنهم كانوا إذا رأوهم في بعض الأماكن والطرقات أو الأسواق أخذوا يتضاحكون ويتغامزون من عباداتهم أو أشكالهم، وقد بقي هؤلاء المجرمون علىٰ هذه الحال التي أوصلتهم إلىٰ النار.

[١١١] ثم أخبر جل وعلا أن هؤلاء الذين كنتم تستهزؤون بهم من عبادي المؤمنين، كانوا قد صبروا علىٰ استهزائكم وسخريتكم واحتقاركم، فجزيتهم بذلك: أن رضيت عليهم، وأدخلتهم جناتي، ففازوا بذلك فوزًا عظيمًا.

[١١٢] ثم سأل جل وعلا هؤلاء الكفار سؤال تبكيت وإهانة فقال لهم: كم كانت مدة إقامتكم في الدنيا؟، ولا شك أن الله يعلم كم هذه المدة، ولكن ليزيد في حسرتهم وتوبيخهم.

[١١٣] فقال هؤلاء المجرمون: لقد أقمنا ياربنا في الدنيا يومًا أو بعض يوم، فاسأل أهل المعرفة بالعد والحساب الذين يعدون الأيام والشهور، قالوا ذلك من شدة ما يرون من العذاب.

[١١٤] فرد جل وعلا عليهم قائلًا: اعلموا أيها الكفار أنكم ما أقمتم في الدنيا إلا مدة قليلة، لو أنكم كنتم تعلمون ذلك، فلو صبرتم فيها علىٰ الطاعات لكنتم من الفائزين بالجنات.

[١١٥] ثم قال سبحانه لهم: هل كنت تظنون أيها الكفار أن الله جل وعلا خلقكم مهملين، لا أمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب؟،

وأنكم لن تُرجعوا إلىٰ الله يوم القيامة فيحاسبكم علىٰ أقوالكم أفعالكم؟.

[١١٦] ثم عظم جل في علاه نفسه ونزهها عن العبث وعن كل ما لا يليق بجلاله وكماله؛ فهو الملك المتصرف في شؤون خلقه، وهو الحق في صدقه ووعده ووعيده، لا إله ولا رب معبود بحق إلا هو، رب العرش الذي هو أعظم المخلوقات وهو سقف جميع المخلوقات، الكريم في منظره والجميل في شكله.

[١١٧] حذّر جل وعلا من الشرك وعظّم جرم مرتكبه، وذكر حسابه العسير وعقابه الأليم لمن وقع فيه، وأخبر أن من يعبد مع الله إلهًا آخر فإنه لا حجة له ولا دليل علىٰ هذه العبادة، وليعلم أن من يفعل ذلك العمل الشنيع فسوف يلقىٰ ربه ويحاسبه حسابًا شديدًا؛ لأن عدالته سبحانه اقتضت أنه لا فلاح ولا نجاة للكافرين المجرمين لا في الدنيا ولا في الآخرة.

[١١٨] ثم ختم جل وعلا السورة آمرًا نبيه ﷺ بكثرة الاستغفار وطلب الرحمة، فقال له: قل يانبي الله: يارب تجاوز عن ذنوب المؤمنين من عبادك، وارحم عصاتهم؛ فأنت خير من يرحم وخير من يغفر، ومن رحمتك أنك تقبل توبة التائبين.

وفي هذا حث لجميع الناس بكثرة الاستغفار والتوبة وطلب الرحمة.